

القيمة السياحية للمواقع التاريخية والآثارية بالسودان (موقع جبل البركل بالولاية الشمالية نموذجاً)

أستاذ مشارك - قسم الجغرافيا والتاريخ
كلية التربية - جامعة كسلا

د نبيل رابع آدم سعيد

مستخلص:

على اعتبار التاريخ الطويل والممتد في أرض السودان عبر حقب زمنية طويلة نشأت فيها وتعاقبت العديد من الحضارات، فإن السودان يحظى بالعديد من المواقع التاريخية والآثارية ذات القيمة السياحية. ويعد جبل البركل بالولاية الشمالية وتحديدًا بمدينة كريمة التاريخية أحد هذه المواقع المهمة. تأتي هذه الدراسة بعنوان القيمة السياحية للمواقع التاريخية والآثارية بالسودان نموذج موقع جبل البركل بالولاية الشمالية، وتهدف إلى التعريف بأهم المواقع التاريخية والآثارية في السودان وإبراز أهميتها السياحية، وقد اتبعت هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي للحقائق التاريخية، وتوصلت إلى نتائج أبرزها أن جبل البركل التاريخي المقدس يعد من أبرز المواقع التاريخية والآثارية بالسودان، وأنه بما فيه من معابد واهرامات يعتبر ذو قيمة سياحية ثرة، وبالتالي فإن الدراسة توصي بضرورة الوقوف على المواقع التاريخية المماثلة لإبراز أهميتها السياحية على اعتبار قيمة السياحة بوصفها مورداً اقتصادياً مهماً.

The tourism value of the historical and archaeological sites in Sudan

(Jabal Barkal site model in the Northern State)

Dr .Nabeel Rabeh Adam Seed

Abstract:

Considering the long and extended history in the land of Sudan through long periods of time in which many civilizations arose and succeeded ,Sudan has many historical and archaeological sites of tourist value .Jebel Barkal in the Northern State ,specifically in the historic city of Karima ,is one of these important sites .This study comes under the title of the tourist value of historical and archaeological sites in Sudan ,the model of the Jebel Barkal site in the northern state ,and aims to introduce the most important

historical and archaeological sites in Sudan and highlight their tourism importance .It is considered one of the most prominent historical and archaeological sites in Sudan ,and that ,including temples and pyramids ,it is considered of rich tourist value ,and therefore the study recommends the need to stand on similar historical sites to highlight their tourism importance ,given the value of tourism as an important economic resource.

مقدمة:

عندما تتجه لعبور نهر النيل باتجاه الشرق من مدينة مروى التاريخية العريقة شمالي السودان فأول ما يلفت نظرك تلك الكتلة الصخرية الضخمة السوداء التي تتوسط الصحراء والخضرة في ان تجد نفسك أمام طبيعة ساحرة لكنها مهملة، فقد عاش الإنسان في هذا المكان قبل ان يدون التاريخ كما يقول مؤرخون وعلماء آثار، انه «جبل البركل» الموقع الأثري المهم الذي دخل أخيراً ضمن التراث العالمي الواجب حمايته دولياً.

أهداف الدراسة:

- 1/ تعريف السياحة وبيان أهميتها الاقتصادية.
- 2/ الوقوف على السياحة في السودان واقعها ومشكلاتها.
- 3/ بيان قيمة المواقع الأثرية وأهمية النظرة المثالية لها.
- 4/ التعريف بجبل البركل وإبراز أهميته التاريخية.
- 5/ إبراز الأهمية السياحية لموقع جبل البركل والتحديات التي تواجهها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في كونها تتناول واحدة من أهم الأطر التي تحكي عن الدولة وامتدادها التاريخي الطويل، كونها دولة تقوم على أرض شهدت ميلاد العديد من الحضارات التاريخية المتعاقبة، والتي خلفت كمّاً هائلاً من الآثار والمواقع التاريخية التي تحكي عن قيمة وأصالة هذه الأرض، فضلاً عن أهميتها الاقتصادية التي يمكن النظر إليها من خلال السياحة في المقام الأول.

منهج الدراسة:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفي والمنهج التاريخي التحليلي للحقائق التاريخية، فضلاً عن المنهج الاستقرائي والذي يمكن من خلاله الوقوف على القيمة السياحية للمواقع التاريخية.

تبويب الدراسة:

قسمت هذه الدراسة إلى مقدمة تمهيدية وخمسة مباحث، حيث جاء المبحث الأول السياحة مفهومها وأهميتها، المبحث الثاني السياحة في السودان، وتناول المبحث الثالث النظرية المثالية للمواقع الأثرية وأهميتها، بينما تناول المبحث الرابع تاريخ جبل البركل وأهم المواقع الأثرية فيه، أما المبحث الخامس فقد تناول الأهمية السياحية لموقع جبل البركل، وختم البحث بخاتمة ونتائج وتوصيات، ثم قائمة المصادر والمراجع.

مقدمة:

إن التعاقب التاريخي في أي أرض يزداد وضوحه حينما يمضي مخلفاً آثاراً ومواقع مادية تقف بدورها شاهداً على هذا التعاقب، بينما تزداد أهمية هذه المواقع وقيمتها إذا كانت ذات أهمية اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية، ولما كان السودان بلد يقوم على أرض تعد هي أرض الحضارات دون أدنى شك، فإن الحضارات التي قامت على هذه الأرض قد تركت مواقع ومخلفات مادية ملموسة تحظى بأهمية بالغة في شتى المجالات.

مفهوم السياحة وأهميتها:

تعريف السياحة:

تعرف السياحة بأنها مجموعة من العلاقات والأحداث الناتجة عن السفر والمغادرة والإقامة في بلد غير البلد الأصلي أو مكان الإقامة المعتاد لمدة لا تزيد عن عام واحد وبشرط أن لا يكون فيها نية لإقامة أي نشاط ربحي أو للإقامة الدائمة، أما التعريف التقليدي للسياحة يشمل على مغادرة الأشخاص من مكان الإقامة المعتاد أو من مكان العمل إلى أماكن أخرى بحيث يتوفر في هذه الأماكن جميع المرافق والخدمات لتلبية حاجات السياح، وعليه فإن السائح يعرف بأنه الشخص الذي يسافر من مكان إقامته إلى مكان آخر لمدة لا تزيد عن اثنا عشر شهراً، على أن لا يكون الهدف من السفر الكسب المادي، أي أن كل سائح مسافر وليس كل مسافر سائح⁽¹⁾.

أهمية السياحة:

تتبع أهمية السياحة من كونها القطاع الذي يزيد من إيرادات الدولة وذلك من واقع أن السياحة تمثل ظاهرة الانتقال المؤقتة التي يقوم بها عدد كبير من الناس فيتركون مكان إقامتهم والتوجه إلى دول أخرى (سياحة خارجية) أو ينتقلون إلى مدن داخل بلادهم (سياحة داخلية)، حيث يقوم السائح في البلد السياحي بوظيفة استهلاكية مما ينتج عنه زيادة دخل هذا البلد، وتحدث الزيادة عن طريق الانتفاع بالخدمات (إقامة، طعام، شراب، بضائع، هدايا، تسلية، وقود... الخ) تتمثل في صورة خدمات ضرورية تهدف إلى راحته وامداده بكل وسائل المعيشة السهلة الكاملة، وكذلك في صورة امداده بالسلع المحلية، وتتمثل أهمية ذلك كله في كونها تجلب العملة الصعبة

لبلد السياحي. لذلك فإن صناعة السياحة تعتبر من أكبر الصناعات في العالم كونها تساهم في دعم الاقتصاد المحلي والعالمي، وينفق المستهلكون في الدول المتقدمة على السفر والسياحة أكثر مما ينفقون على المواد الأخرى، على أن أهمية السياحة تزداد في الدول النامية التي تهدف إلى تحقيق فائض أو موازنة في مجال ميزان المدفوعات، وتحقيق فائض في مجال العملة الصعبة، وبالتالي فإن السياحة باعتبارها نشاط ديناميكي حركي ذات تأثير متبادل وفعال يشمل جميع النواحي الاقتصادية في الدولة وخارجها، فهي تتأثر وتؤثر على الإنتاج، الاستهلاك، النقل، الرحلات، الاتصالات، الموانئ، المطارات، الفنادق، البنوك، وعمليات التجارة الداخلية والخارجية... الخ⁽²⁾.

إن قدرة النشاط السياحي على زيادة معدلات النمو الاقتصادي تؤدي مباشرة لتخفيف وطأة الفقر الريفي، فقد أكدت دراسات عديدة أن الفقر الريفي أكثر استجابة للنمو من الفقر الحضري. وإن هذه الخصائص وغيرها هي التي جعلت السياحة قطاع صاعد بقوة في الاقتصاد العالمي ليساهم بحوالي 30% من صادر الخدمات بل استطاع الصمود في وجه النكسات وتعافى قبل غيره من الأزمة المالية العالمية، ليسجل في عام 2011م زيادة في حركة السياحة بحوالي 4.5% عن العام 2010م.⁽³⁾

السياحة في السودان:

تعتبر السياحة في السودان قديمة وإن لم تكن بصورتها الحديثة، وقد شهد السودان منذ القدم انتقال الأفراد من مكان لآخر من أجل الاستشفاء وزيارة الأولياء حيث عرفت سلطنة الفونج السياحة الدينية وسياحة الاستشفاء الديني آنذاك في ما يعرف بالطب الشعبي، وقد كان الناس ينتقلون بين الأولياء وبين القباب بغرض الاستشفاء الجسدي والنفسي والدعاء والتضرع وكان الأولياء يسعون في السودان متنقلين بين المساجد والجوامع والقباب ويتبادلون الزيارات الدينية فيما بينهم، وهناك مرحلة مهمة وهي بداية الاستكشافات في السودان من جانب الرحالة الذين زاروا السودان خاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وحتى دخول الحكم التركي في السودان عام 1821م، واستمر الحال في السودان ليعرف السياحة الحديثة المرتكزة على الجوانب العلمية في الترويج والتسويق ليتنامى النشاط السياحي بقيام الشركات وقيام مؤسسات رسمية حكومية كوزارات للسياحة ترعى النشاط المتنامي⁽⁴⁾. ويزخر السودان اليوم بالعديد من المقومات السياحية والتي تتمثل في العديد من المواقع السياحية سواء كانت الطبيعية مثل المحميات الطبيعية وسواحل البحار والجبال ومناطق الأنهار والأودية، أو المواقع البشرية مثل المتاحف والمتنزهات والمتنزهات الموجودة في السودان، بالإضافة إلى المواقع ذات الصبغات الدينية والتاريخية كالقباب والأضرحة، وعلى الرغم من ذلك كله إلا أن السياحة لا تلعب اليوم في السودان الدور الاقتصادي المرجو منها وبرجع السبب في ذلك إلى مجموعة من العوامل أبرزها ضعف الثقافة السياحية لدى الإنسان السوداني، إلى جانب ضعف الاهتمام الحكومي، وبالتالي ضعف الترويج لها، فضلاً عن المعاناة الاقتصادية لدى الغالبية العظمى من أهل السودان الأمر الذي يجعلهم لا يولون

السياحة أي اهتمام اللهم إلا في الحالات الاضطرارية على سبيل المثال عندما يكونون مضطرين للسفر والتنقل بحثاً عن العلاج في أصقاع البلد المختلفة.

النظرة المثالية للمواقع الأثرية وأهميتها:

وقبل الحديث عن جبل البركل فإن نقطة مهمة جدية بالذكر لابد من الانتباه إليها، وهي أن الدراس للآثار النباتية والمروية بصفة خاصة، والآثار في السودان عموماً من مدافن ملكية ومعابد ويتابع التاريخ السياسي والثقافي في الفترتين ويتأمل أسماء الأعلام فيها يلمس استمرارية حضارية وسياسية وفي حالات كثيرة عرقية تربط بينهما، كما يلمس المرء بحكم الاتصال السياسي والثقافي بين السودان ومصر فإن الحضارة السودانية في فترتها النباتية والمروية لم تخل من عناصر مصرية الأصل، والناظر لهذه العناصر من وجهة النظر النباتية والمروية لم تخل من عناصر الناظر لها من غير هذه الزاوية، فهي نظر النباتيين والمرويين جزءاً من تراثهم وحضارتهم ورثوه منذ الأزل، بينما في نظر الناظر إليها من غيرهم هي شيء أجنبي- وبعضها غريب لا قيمة له، لذلك فالأولى والأوجب علينا أن ننظر إلى هذه الأشياء من وجهة النظر النباتية والمروية وأن نرى فيها ما كانوا يرونه⁽⁵⁾. ولتوضيح ذلك أكثر نجد أن الناظر لجبل البركل من دون صبغته التاريخية ووجهة نظر أهله الأوائل تجاهه يجد أنه مجرد جبل رسوبي عادي يقبع في منطقة من المناطق العادية ولا يرى فيه غير ذلك بأي حال، أما إذا نظر إليه من وجهة النظر النباتية والمروية فهو جبل مقدس له قيمة دينية وروحية وسياسية، لا يمكن تجاوزهما بأي حال، فالأهرامات والمعابد وجميع الملحقات الأثرية التي تقبع اليوم في منطقة جبل البركل لا يمكن إدراك أهميتها بأي حال دون النظر إليها من خلال بعدها التاريخي والزمن الذي وجدت فيه، فدراستنا هذه عن جبل البركل وقيمتها السياحية هي بالتأكيد ليس من خلال واقعه اليوم فحسب وإنما هي تتأق من خلال كونه موقعاً تاريخياً له صبغات ودلالات حضارية ترتبط بتاريخنا وحضارتنا الماضية.

والنصوص التالية تؤكد حقيقة ما نقصد:

1. تؤكد نشاطات تهارقو (العمرانية) أنه كان أيضاً يتفانى في إرضاء الآلهة حيث شيد لها العديد من (المعابد) في كل من الكرنك وقصر أبريم وتبو وسمنة غرب ويوهين وكوة وصنم أبو دوم.
2. تؤكد العديد من (النقوش) النباتية على نفوذ الكهنة الكبير في طور المملكة النباتية، حتى أن الملوك أنفسهم كانوا ينفذون أمر الكهنة لهم بالانتحار.
3. إن الصراع بين ملوك كوش وكهنة آمون ظهر من قبل في بعض الجهود أثناء الطور النباتية، لكنه لم يتواتر بحيث يرق لمرتبة الظاهرة فقد حوت (السجلات الأثرية) ممثلة في (نقش أسبelta) المعروف بـ(نقش عقاب الكهنة) أو لوح الاقصاء ما يؤكد وقوع صراع دموي بين ذلك الملك وكهنة معبد آمون في جبل البركل جراء تأمرهم لقتله⁽⁶⁾.

تلك إذن مقررات سياسية ودينية لم ولن نلمسها اليوم في المواقع المذكورة بأي حال مالم نعود إلى مرجعياتها التاريخية والحضارية من وجهة نظر أصحابها، وأن القيمة السياحية لهذه المواقع الأثرية والتي نود الحديث عنها في هذا البحث لا يمكن أن ننظر إليها بأي حال أو نشعر بها إلا من خلال وجهة النظر نفسها.

تاريخ جبل البركل وأهم المواقع الأثرية فيه:

يعتبر جبل البركل من أهم المواقع الأثرية في السودان قاطبة إذ نجد به مخلفات أثرية مهمة من عهد الدولة المصرية الحديثة، (1580 1150 ق.م)، وتتضمن آثار جبل البركل عدداً من المعابد وعدداً من الأهرامات التي يرجع تاريخها إلى عهد مروي، إضافة لعدد كبير من التماثيل الموجودة في العراء تحت الجبل، اكتسبت هذه المنطقة أهمية منذ عهد الدولة المصرية الحديثة وازدادت أهميتها شهرة بعد نبته، حيث اتخذ ملوك نبته جبل البركل عاصمة دينية لمملكتهم، وكان لا يتم تتويج ملوك نبته إلا في هذا الجبل الذي يطلق عليه الجبل الطاهر ولأنه كان مقراً للإله⁽⁷⁾. وقد شهد جبل البركل العديد من الأحداث التاريخية منذ عهد الملك تحتمس الثالث الذي استطاع غزو المنطقة، وتشيد حامية عسكرية في الجبل عام 1450 ق.م، كما أصبحت المنطقة عاصمة للحضارة الكوشية في عهد الأسرة الـ 25، وهي الأسرة النوبية (السودانية) التي استطاعت حكم مصر من القرن التاسع حتى القرن السابع قبل الميلاد، وهي ما عرفت بالمملكة الكوشية وعاصمتها نبته التي تقع على الضفة الغربية لنهر النيل، وتبعد 400 كم من الخرطوم بشمال السودان⁽⁸⁾.

مثل جبل البركل المركز الرئيسي للتتويج الملكي والطقوس الملكية خلال عصر الحضارة الكوشية، حيث حرص الملوك على إجراء طقوس تتويجهم في الجبل، حيث يعتقد أن الإله يسكن الجبل، كما كان يرجع له الملوك في اتخاذ قرارات الحرب، وأيضاً إنهاء حكم الملك أو بقاءه في الحكم، وظل هذا التقليد حتى القرن الثالث قبل الميلاد، وقد ألغى الملك أرجمنيس هذا التقليد وقام بقتل كهنة الوحي الإلهي في الجبل⁽⁹⁾.

يضم الجبل عدداً من المواقع الأثرية النوبية منها 13 معبداً، و3 قصور، وقد اكتشفت عام 1820م، وعدداً من الأهرامات "نحو 15 هرماً" شيدت على الطراز المصري، وحملت أسماء الملوك الكوشيين الذين حكموا خلال تلك الفترة منهم الملك «إكتسينس» أو «أريا ماني»، و«صبرا كمانى»، و«تريكاس» بالإضافة إلى ملكات كوشيات منهم الملكة «ناوي دماك»، و«أماني ريناس»⁽¹⁰⁾.

أهم المعابد الموجودة بالجبل هو معبد آمون الكبير الذي يشكل بيت الزعامة الدينية، ومعبد الإله موت، بالإضافة إلى معبد آخر يعرف بمعبد دوت، وهو كان مخصصاً لولادة الملكات، حيث يقمن داخله طوال فترة الحمل ويضعن بداخله، وكذلك المعبد الرئيسي الذي يتكون من ثلاث قاعات رئيسية، القاعة الأولى كانت لعامة الشعب، والثانية للكهنة وخصصت الثالثة لتتويج الملك، فضلاً عن قصور أشهرها قصر الملك نكامني، ويضم الجبل العديد من الرموز الحجرية

المقدسة التي تدل على الحضارة المصرية القديمة، كما عثر على العديد من تماثيل ملوك كوش بالجبل مثل تماثيل الملك نتكمانى الضخمة، و تمثال الملك «اتلانيرسا» بن تهارقا، والتي نقلت بعد ذلك إلى مدخل صالة المتحف القومي⁽¹¹⁾.

لمحة عن أهم المعابد بجبل البركل:

1/ معبد الصخر في البركل (200-B300):

نحت في الصخر عند قاعدة جبل البركل، ونواة المعبد الأول ترجع إلى عهد الدولة المصرية الحديثة في كوش، واعتنى تهارقو بهذا المعبد ونحت فيه حجرات إضافية حتى بلغ طولها 115 قدماً في عمق الجبل وزينها بنقوشاته⁽¹²⁾.

ونحت تهارقو معبداً آخراً في جبل البركل ولا يبعد كثيراً عن المعبد السابق وقد بلغ عمقه 50 قدماً ويتكون من قاعة وثلاثة حجرات، وأخيراً تحول المعبد إلى مكان للسكن في أواخر الأيام⁽¹³⁾.

2/ معبد البركل (800 B):

مر هذا المعبد بمرحلتي تشييد- الأولى سابقة لعهد بعانخي، والثانية أعقبت غزو الفرعون المصري بسمتيك الثاني لنبته في عام 591ق.م، وفي المرحلة الأولى لم يكن المعبد سوى حجرتين مبنيتين من الطوب اللبن، وفي مرحلة البناء الثانية أضيفت للمعبد حجرتان وبرج للواجهة كما أضيف له عدد من الحجرات الجانبية، وأخيراً تحول المعبد إلى مكان للسكن في أواخر أيام المملكة⁽¹⁴⁾.

3/ معبد البركل (700 B):

مر هذا المعبد بمرحلتي بناء أيضاً ترجع أولاهما للفترة المروية الأولى، والمرحلة الثانية ترجع للقرن الأول قبل الميلاد، شيد المعبد الملك المروي أتلانرسا (653 - 643ق.م)، وكان هذا المعبد الذي شيد بالحجر بسيطاً في تكوينه إذ اقتصر على حجرتين وبرج في الواجهة، وفي مرحلة التجديد الثانية أضيفت إليه دهليز وحجرة ثالثة⁽¹⁵⁾.

اهرامات البركل:

في البركل مجموعتان من الاهرامات، المجموعة الأولى وتضم (10) أهرامات خمسة منها كانت لرجال والخمسة الأخرى لنساء، وتاريخها (308 - 225ق.م)، والمجموعة الثانية وعددها (10) وتاريخها (100 - 23ق.م). وما زالت مجموعة اهرامات البركل تشكل لغزاً للدارسين، فأى منها لم يحمل اسماً ملك من الملوك، كما أن وجودها بالنسبة لوجود اهرامات البجراوية في ذات الوقت أثار العديد من الأسئلة والاحتمالات، منها هل هي ملوك حكموا المملكة من نبته أم أن هذه الاهرامات كانت لأمرء تابعين لقيادتهم في مروي⁽¹⁶⁾.

الأهمية السياحية لموقع جبل البركل:

منذ قرون ظلت منطقة الجبل مكاناً لهجرات مختلفة وبعثات أثرية من كل أركان تجوب باستمرار المكان تنقب في تاريخ ضارب في القدم وسكان المنطقة لا يباهون كثيراً بهذه الحركة الغربية ولا يكثرثون تماماً كالجهات الرسمية التي ظلت تغض طرفها وكأنها تقول كما يقول الأهالي هناك دع هؤلاء الغربيين يحركون هذه الحجارة والصخور السماء، كما يشاءون هذا هو الانطباع الذي كان قائماً إلى وقت قريب، إلا ان صحوة رسمية ولو جاءت متأخرة بدأت تبرز من سنوات ليس بالكثيرة أقامت الحكومة قرية سياحية بمعاونة مستثمرين أوروبيين وماتزال هناك مساعٍ جارية لاستعادة آلاف القطع الأثرية التي نهبت من المكان اضافة إلى طموحات سياحية في مشروع يهدف إلى اقامة فنادق ومنتجعات لجذب السياح غير انه لم ير النور إلى الآن. ويشكل الجبل الواقع شمالي مدينة كريمة أحد أكبر المدن التجارية في شمالي البلاد معلماً تاريخياً بارزاً يربط الحاضر بماض امتد لقرون طويلة إذ ما يزال يقف شامخاً يحمل على سفحه وفي جوفه أساطير وحقائق وأسراً صامتة وغامضة تماماً كنفوس الكتابة «الهرغلوفية» التي حيرت الجميع. وقصة هذا الجبل طبقاً للأبحاث المتداولة هي عبارة عن اسطورة دينية معقدة تحكي تاريخ المنطقة الممتدة من مدينة اسوان جنوبي مصر وحتى البركل حيث كان قدماء المصريين يعتقدون بأن الجبل هو نهاية الدنيا أو عالمهم الروحي، والآثار الموجودة على الجبل تدل انه كان قبلة رئيسية لعبدة الإله امون راع المعبود الوحيد في تلك الفترة وكان ملوك الجبل يمتلكون خداماً وحشماً داخله ويعتقد الناس ان أمون هذا هو جبل البركل نفسه. وتشير اسطورة متداولة إلى ان احدى ملكات الفراعنة قصدتها إلهة الشر وحاولت قتلها ونجت الملكة بنفسها وهاجرت إلى الجنوب لتستقر في منطقة الجبل وأتى أحد ملوك الفراعنة يدعى امليتو لإرضائها وإرجاعها إلى مصر ورضيت ورجعت لكنها عادت مرة أخرى إلى الجبل وهذه تعرف حسب مؤرخين بأسطورة الرأس المقدس. ويتشكل الجبل من مجموعة كتل تمثل ثلاثة مقرات ضخمة كانت عبارة عن معابد أكبرها خاص بالملك أو الإله والأخريات خاصات بزوجاته، وعلى قمة الجبل توجد كتلة صخرية أشبه بالإبرة وتتمتع بأهمية كبيرة وهي عبارة عن رمز للمليكة المقدسة بالإضافة إلى معبد آخر بعيد يعرف بمعبد «دوت» وهو كان خصص لولادة «الملكات» يقمن داخله طوال فترة الحمل يضعن بداخله. وهناك رموز أخرى على الجبل من الحجر في شكل ثعبان يعرف بثعبان الكوبرا وصورة لإنسان يعرف بقرص الشمس وعلى رأسه تاج وكوبرا أما هذه الآثار من حيث الأهمية فأهمها هو معبد آمون الكبير الذي يشكل بيت الزعامة الدينية وهو كائن بمثابة الأماكن المقدسة حيث يأتي إليه الناس حجاجاً في كل عام باعتباره مكاناً مقدساً ورمزاً دينياً مهماً⁽¹⁷⁾. وكان جبل البركل من المعالم في الطرق التجارية بين وسط أفريقيا والجزيرة العربية ومصر. وشكل معبراً لعبور النيل إلى كلتا الضفتين. ويعتبر جزءاً من حضارة نبتة. في هذا السياق، قال أستاذ التاريخ محمد الحسن الأمين إن «جبل البركل شكل جزءاً أساسياً من حضارة نبتة والدولة المدينة. بعد إعلان نبتة وجبل البركل كأحد

مواقع التراث العالمي التابعة لليونسكو في عام 2003»⁽¹⁸⁾. وتم إطلاق مهرجان جبل البركل في عام 2014، وشكّل حينها حضوراً ثقافياً وحضارياً ضخماً يضم العديد من الفنون المختلفة. ولكن سرعان ما توقف ولم يتواصل بعد ثورة ديسمبر (كانون الأول) 2018م. وفي هذا الصدد قال الكاتب في مجال التراث، أمجد سامح إن «المهرجانات عموماً يجب ألا تتبع للدولة وأن تتم رعايتها بعيداً من الخلافات السياسية التي تفسد الإبداع دائماً، فهناك عدد كبير جداً من الأنشطة الثقافية والفنية لم تستمر بعد الثورة لأنها كانت تحت رعاية الحكومة السابقة»⁽¹⁹⁾.

في عام 2020، أُطلق مشروع السياحة المستدامة والمشاركة المجتمعية في مواقع التراث العالمي بالسودان، وذلك بالتعاون مع وزارة الثقافة والإعلام ومركز التراث العالمي والهيئة العامة للآثار والمتاحف واللجنة الوطنية السودانية للتربية والعلوم والثقافة وبدعم من صندوق الدعم الهولندي بالخرطوم⁽²⁰⁾. وقال مندوب منظمة اليونسكو بالسودان، الدكتور باقيل كوكين، في كلمة له خلال حفل الإطلاق، إن «المشروع يأتي في إطار اهتمام اليونسكو ودعمها لمواقع التراث العالمي والمحافظة على القيمة الاستثنائية العالمية لجبل البركل وتطوير استراتيجية السياحة لمناطق التراث العالمي بالسودان». وأضاف أن «المشروع يحتوي على عدد من البرامج والورش المتكاملة التي تضم مؤسسات حكومية وأكاديمية وفعاليات محلية مجتمعية لوضع خطة سياحية لتطوير التراث العالمي بجبل البركل»⁽²¹⁾. وتبدو القيمة السياحية لموقع جبل البركل واضحة من خلال الحقائق التاريخية المرتبطة به وعمقها السياسي والديني لدى انسان الحضارة الكوشية، فقد أكدت الدراسات أن المواقع ذات المقومات السياحية الطبيعية هي أكثر قدرة من غيرها على الجذب السياحي⁽²²⁾، وبالتالي يمكننا أن نعدد فرص الاستثمار السياحي في منطقة جبل البركل في النقاط التالية:

1. يعتبر موقع جبل البركل وما يحتويه من أهرامات ومعابد مزاراً يمكن قصده إذا ما تم الترويج له بالصورة المثالية.

2. هنالك إمكانية لبناء فنادق ومنتجعات ومطاعم ومنتزهات وذلك لتكون المنطقة جاذبة للسياح من كل مناطق السودان، ومن الخارج.

3. هنالك إمكانية للاستثمار البستاني وذلك بفضل طبيعة المنطقة الغنية بالمياه بسبب وجود نهر النيل إذ يمكن انشاء سواقي بستانية يتم شق قنوات لها لريها من النيل مباشرة وذلك حتى تكون المنطقة مغرية للتواجد فيها لفترة طويلة من الزمن فالإنسان بطبعه يحب المناطق البستانية والمناطق المخضرة عموماً.

والان تواجه المواقع السياحية في السودان عامة ومنطقة جبل البركل على وجه الخصوص باعتبارها موضوع هذه الدراسة، تواجه العديد من التحديات يمكن تجميلها فيما يلي:

1. عدم التعامل مع هذه المواقع بالصورة اللائقة من قبل انسان المنطقة وذلك إما بسبب الجهل أو بسبب عدم إدراك أهميتها حيث تتعرض الكثير من مواقع الجبل للتشويه وذلك بهدمها بفعل فاعل أو الكتابة عليها بطرق مختلفة بداعي التذكار مما

قد يتسبب في طمس هويتها التاريخية وتصبح مزورة وتندعم قيمتها التاريخية.

2. لا تمثل السياحة برنامجاً مهماً في حياة الانسان السوداني في أغلب الأحيان وذلك لانشغال الكثيرين بالأعمال اليومية مع عدم إدراك أهمية السياحة في التكوين النفسي والجسدي لهم، أو بسبب الفقر وعدم توفر ما يلزم من مال للسفر والسياحة لدى الكثير من السودانيين، وتلعب مسألة عدم القناعة بكون السياحة جانباً حياتياً مهماً دوراً كبيراً في كل الأحوال، فعبارة (الزول دة ما عندو موضوع) نجدها حاضرة عندما يقوم أحد الناس بالسفر لمكان بعيد عن مكان إقامته دون أن يكون لديه غرضاً ملموساً معلوم. بالنسبة لجبل البركل فإنه يقع في أقصى شمال السودان فمن الصعب أن يقصده الناس من بقاع السودان الأخرى بغرض السياحة، وحتى انسان المنطقة نجده لا يأبه به بل نجدهم يسخرون من الأجانب الذين يأتون اليه بوصفهم سياح وباحثين ويصفونهم بعبارة (ما عندهم موضوع).

3. لا يجد قطاع السياحة العناية اللازمة من الحكومة والجهات المسؤولة فمسؤولية حماية المواقع الأثرية من جهة والترويج للسياحة فيها من جهة أخرى هي من صميم مسؤوليات الحكومة، ألا أن ذلك لا يحدث إلا بصورة خجولة، ويعود السبب في ذلك إلى عدم اعتماد الحكومة على السياحة باعتبارها مورداً اقتصادياً مهماً، ولا تحضر السياحة في الموازنة العامة للدولة إلا بنسبة ضئيلة جداً هذا إن حضرت أساساً.

4. يكمن خطر اهمال الحكومة للمواقع الأثرية في جعلها عرضة للسطو والسرقة من قبل أولئك النفر من البشر والذين يعرفون قيمتها فقد يعثر السياح أثناء تجوالهم في المواقع الأثرية على مقتنيات أثرية مهمة وحينما لا تكون هنالك رقابة حكومية تتعرض هذه المقتنيات للسرقة، وقد حدث ذلك كثيراً، فهناك الكثير من المقتنيات الأثرية تمت سرقتها من السودان وتوجد اليوم في متاحف بلدان أخرى أجنبية.

يقول الدكتور محمد آدم الحمداي الأستاذ المساعد بقسم التاريخ في كلية الآداب جامعة الخرطوم: (إن عراقة الحضارة الكوشية السودانية دفعت العديد من المهتمين بالآثار عالمياً مثل رايزنر، كيندال، شارلي بونيه، كلود ريبه، قريفث، هينترا، مكادم، أركل، آدمز، وألس بدج، كراوفورد، شيني، وغيرهم، إلى التنقيب في المخلفات التي تركها لنا الأسلاف، ساهمت أعمال هؤلاء الأثاريين في الكشف عن أعرق حضارة بوادي النيل فكانت الأهرامات الملكية بـ(جبانتي نوري وشمال وجنوب البجراوية) من أعظم الاكتشافات لاحتوائها كنوزاً أثرية عظيمة وذات قيمة حضارية ومادية عالية جداً، ما دفع عدداً كبيراً من الأجانب من ضعاف النفوس -بحسب تعبيره- على نهبها، مثل الطبيب الإيطالي (جوسيبى فرليني) الذي نهب هرم الكنداكة (أماني شخيتي) وقام ببيع مقتنياته ومحتوياته على الملأ، في جريمة لم يشهد مثلها، ثم توالى السرقات وتعددت طرائق النهب تارة تحت غطاء ما يسمى بالتنقيب عن الذهب في شمال السودان، حيث يعثر المنقبون العشوائيون

على مخلفات أثرية، يعتمدون إلى بيعها أو صهر معدنها الذهبي وبيعه كخام⁽²³⁾.

كما ذكرت أستاذة التاريخ والحضارات القديمة المشاركة بجامعة الخرطوم وجامعة الملك خالد بالملكة العربية السعودية حالياً الدكتورة أمل بادي- ذكرت أن الطبيب الإيطالي «جوزيف فرليني» قدم إلى السودان عام 1834م ووصل عام 1837م إلى أهرامات البجراوية، 200 كيلومتر شمالاً من الخرطوم، و500 متر عن مجرى نهر النيل، حيث مدافن ملوك وملكات «مروي» فعمد إلى أفضل الأهرامات شكلاً وأكبرها حجماً الهرم (رقم 6) وشرع في تفكيكه، حيث عثر على كنز هذه المملكة في مخبأ سري فأخذها إلى أوروبا وعرضها على متاحفها التي سارعت بشرائها، وبعضها معروض الآن في متحف ميونخ وبرلين بألمانيا، وهو الكنز الذي يحتوي على قطع فنية ذهبية غاية في الروعة والجمال، تعكس ملامح هذه الحضارة السودانية الثرية⁽²⁴⁾.

5/ من التحديات التي تواجه جبل البركل خصوصاً إلى جانب بعض المواقع التاريخية المشابهة، خطر العوامل الطبيعية من أمطار ورياح وما يحدث فيه من عمليات طبيعية مثل التجوية بأنواعها والتعرية بأنواعها، فالجبل طبيعته رسوبية وهو عرضة للتآكل والانهاء نتيجة لهذه العوامل، وقد ازداد خطر هذه العوامل على جبل البركل بعد تشييد سد مروي القريب منه جغرافياً فوجود بحيرة عملاقة تحتضن في جوفها كمية لا يستهان بها من المياه سوف يؤدي بالتأكيد إلى ارتفاع معدلات التبخر في المنطقة مما ينتج عنه هطول أمطار في المنطقة وهو أمر لم تألفه المنطقة طوال تاريخها الطويل بسبب طبيعتها الصحراوية، وربما هذا كان السبب وراء بقاء جبل البركل شامخاً طوال كل تلك الفترة، أما الآن فسوف يتعاطم الدور أمام هذا التحدي لان هطول أمطار في منطقة جبل البركل سوف تكون مهدداً مباشراً للجبل الذي لا يستطيع الصمود في وجه الأمطار المتكررة بحسب طبيعته.

الخاتمة:

إن مسؤولية المحافظة على المواقع السياحية هي مسؤولية مشتركة إذ يجب أن يطلع الجميع بدوره تجاه هذه الثروة العملاقة، حكومة وشعباً- فعلى عاتق الحكومة تقع مسؤولية حماية هذه المواقع وحفظها من كل عابث، ولا يتأتى ذلك إلا من خلال اصدار قوانين رادعة تطبق على القريب قبل الغريب لكل من يتعرض لهذه المواقع بأي حال، وعلى الشعب كذلك أن يعي دوره ويولي السياحة أهميتها وليس هنالك مستفيد من ذلك كله غير هذا الشعب، فإذا تحقق ذلك فإن السودان بلد يمتلك ثروة هائلة في هذا المجال كقيلة بحل الكثير من الإشكاليات الاقتصادية، فالاهتمام بالمواقع السياحية والترويج لها من شأنه أن يحقق الكثير مما عجزت عنه القطاعات الأخرى في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها.

النتائج:

أولاً: النتائج: توصلت هذه الدراسة إلى مجموعة من النتائج منها:

1. إن النظرة المثالية للمواقع الأثرية هي المفتاح الأول للتعامل المثالي مع هذه المواقع الأثرية وبالتالي إدراك أهميتها.
2. يمتلك السودان العديد من المقومات التي فرضتها الطبيعة فهي ليست مصنوعة وليست وليدة اليوم.
3. يعتبر جبل البركل من أهم المواقع التاريخية في السودان وتزداد أهميته من خلال كونه مورداً سياحياً مهماً.
4. هنالك العديد من فرص الاستثمار السياحي في موقع جبل البركل، كما وهنالك العديد من التحديات التي تواجه الموارد السياحة في السودان ومنطقة جبل البركل على وجه الخصوص.

ثانياً: التوصيات: من خلال ما سبق فإن هذه الدراسة توصي بـ:

1. ضرورة الوقوف على المواقع التاريخية المماثلة لإبراز أهميتها السياحية على اعتبار قيمة السياحة بوصفها مورداً اقتصادياً مهماً.
2. تسهيل عملية الوصول إلى منطقة جبل البركل السياحية وذلك بإنشاء الطرق وتوفير وسائل النقل السياحية والحديثة.
3. يجب أن تولي الحكومة عناية خاصة بالمواقع السياحية، وذلك بدعم مؤسسات الدولة ذات العلاقة بهذا المجال وتوفير كافة الوسائل والامكانيات والأجهزة التي تساعد على القيام بدورها كاملاً غير منقوصاً.
4. العمل على الترويج للسياحة بكافة الوسائل، والعمل على فرض رسوم بالعملات الصعبة للسياح الأجانب، وتبصير المواطنين بأهمية السياحة وضرورتها وحضهم على الحرص على المحافظة على الموارد السياحية.

الهوامش:

- (1) العزّام، إبراهيم محمد أحمد: مساهمة السياحة في النمو الاقتصادي في الأردن: دراسة تطبيقية للفترة (1990 - 2014م)، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، 2016م، ص7.
- (2) عبوي، زيد منير: مبادئ السياحة الحديثة، دار المعتمد للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2016، ص23 - 25.
- (3) العراقي، علي مجمد عثمان: السياحة والاقتصاد السوداني: الواقع والرؤية المستقبلية، مجلة الدراسات الإنسانية - كلية الآداب- جامعة دنقلا، العدد الثاني عشر، يونيو 2014م، ص55.
- (4) أيمن الطيب: المتاحف في السودان ودورها في السياحة، مجلة الدراسات الإنسانية - كلية الآداب- جامعة دنقلا، العدد الثامن، يونيو 2012م، ص31.
- (5) الحاج، أبو عبيدة الماحي خليفة: نماذج لبعض عادات وتقاليد البجا ومقارنة اثنو اركيولوجية مع مثيلاتها في الدولة الكوشية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الآثار، جامعة دنقلا، يونيو 2010م، ص47.
- (6) عبد الجبار، نعمات عمر ومحمد مهدي إدريس: علاقة الدين بالدولة في مملكة كوش الثانية، مجلة الدراسات الإنسانية - كلية الآداب- جامعة دنقلا، العدد الثالث عشر، يناير 2015م، ص195 - 196.
- (7) علي، فاطمة أحمد: منطقة مروى المظهر والجوهر، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2004م، ص316 - 316.
- (8) هاني رياض: جبل البركل أشهر المواقع الأثرية في السودان، صحيفة العين الالكترونية الإخبارية، أغسطس 2018م،
- (9) نفس المصدر.
- (10) نفس المصدر
- (11) نفس المصدر
- (12) الزاكي، عمر حاج: مملكة مروى التاريخ والحضارة، وحدة تنفيذ السدود، مطابع الصالحاني، الخرطوم، ط1، 2006م، ص89 - 90.
- (13) نفس المرجع.
- (14) نفس المرجع.
- (15) نفس المرجع.
- (16) نفس المرجع، ص97.

- (17) بليخ حسب الله: جبل البركل.. دنيا مجهولة، جريدة الرياض، العدد 14163، أبريل 2007م
- (18) اسراء الشاهر: جبل البركل هرم السودان المقدس، اندبنت عربية، سبتمبر 2022م
- (19) نفس المصدر.
- (20) نفس المصدر.
- (21) نفس المصدر.
- (22) عبد الله، صابر محمد عبد القادر وعصام الدين مصطفى محمد وداعة: تقييم المقومات السياحية بمدينة كسلا واتجاهات نموها، مجلة جامعة البطانة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 17، ديسمبر 2020م، ص54.
- (23) عبد الجليل سليمان: الحضارة السودانية المسروقة.. كنوز أثرية في المتاحف الأوربية، كيوبوست، الخميس 17 يونيو 2021م.
- (24) نفس المصدر.

المصادر والمراجع:

- (1) اسراء الشاهر: جبل البركل هرم السودان المقدس، اندبنت عربية، سبتمبر 2022م.
- (2) أيمن الطيب: المتاحف في السودان ودورها في السياحة، مجلة الدراسات الإنسانية - كلية الآداب- جامعة دنقلا، العدد الثامن، يونيو 2012م.
- (3) بليخ حسب الله: جبل البركل.. دنيا مجهولة، جريدة الرياض، العدد 14163، أبريل 2007م.
- (4) الحاج، أبو عبيدة الماحي خليفة: نماذج لبعض عادات وتقاليد البجا ومقارنة اثنو اركيولوجية مع مثيلاتها في الدولة الكوشية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الآثار، جامعة دنقلا، يونيو 2010م.
- (5) الزاكي، عمر حاج: مملكة مروى التاريخ والحضارة، وحدة تنفيذ السدود، مطابع الصالحاني، الخرطوم، ط1، 2006م.
- (6) عبد الجبار، نعمات عمر ومحمد مهدي إدريس: علاقة الدين بالدولة في مملكة كوش الثانية، مجلة الدراسات الإنسانية - كلية الآداب- جامعة دنقلا، العدد الثالث عشر، يناير 2015م.
- (7) عبد الجليل سليمان: الحضارة السودانية المسروقة.. كنوز أثرية في متاحف الأوربية، كيوبوست، الخميس 17 يونيو 2021م.
- (8) عبد الله، صابر محمد عبد القادر وعصام الدين مصطفى محمد وداعة: تقييم المقومات السياحية بمدينة كسلا واتجاهات نموها، مجلة جامعة البطانة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 17، ديسمبر 2020م.
- (9) عبوي، زيد منير: مبادئ السياحة الحديثة، دار المعتر للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2016م.
- (10) العراقي، علي مجمد عثمان: السياحة والاقتصاد السوداني: الواقع والرؤية المستقبلية، مجلة الدراسات الإنسانية - كلية الآداب- جامعة دنقلا، العدد الثاني عشر، يونيو 2014م.
- (11) العزام، إبراهيم محمد أحمد: مساهمة السياحة في النمو الاقتصادي في الأردن: دراسة تطبيقية للفترة (1990 - 2014م)، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، 2016م.

(12) علي، فاطمة أحمد: منطقة مروي المظهر والجوهر، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، 2004م.

(13) هاني رياض: جبل البركل أشهر المواقع الأثرية في السودان، صحيفة العين الالكترونية الإخبارية، أغسطس 2018م.